الأَولى أن نجتازَ سريعاً هذا الوادي العجيب

كلُّ ما يُقال في الزهراء عليها السلام لا يُضاهي منزلتها

■ الإمام الخميني قدس سره

* تمسّ الحاجة إلى التدبّر في حديث الإمام الخمينيّ على أعتاب الصدِّيقة الكبرى الزّهراء عليها السلام، لنختبرَ مدى معرفتنا بها عليها صلوات الرحمن، فنشكر الله تعالى إنْ وجدنا أنّنا نعرفها عليها السلام حقّ المعرفة، أو نحاول تصحيح هذه المعرفة إنْ شابها الخَلَل.

تقدّم «شعائر» في ما يلي نصوصاً مختارة، من مَعْلَم بارزٍ في الخطاب الخمينيّ العقائديّ، هو الحديث عن الصدّيقة الكبرى الزهراء عليها السلام.

«شعائر»

جميعُ الأبعاد الكماليّة المتصوَّرة للمرأة قد تجلّت في فاطمة الزهراء عليها السلام... إنّها ليست امرأةً عاديّة؛ بل موجودٌ مَلَكُوتيّ ظهر في العالَم في صورة إنسان

تستنزلُ جبرئيلَ... وتجعلُ ما في الغيب ظاهراً في الشهادة

* «ليس بوسع أحدٍ أن يعرفَ شخصيّة الزهراء المَرْضِيّة والصدِّيقة الطاهرة عليها السلام سوى الذين ارتقوا مدارج الأبعاد الإلهيّة حتّى ذروتها، وهو ما لم يبلغه سوى أُولي العزم من الأنبياء والخُلّص من الأولياء، كالمعصومين عليهم صلوات الله..».

* «يُخطئ مَن يدَّعي معرفة مقامها المقدَّس من العرفاء أو الفلاسفة أو العلماء. وكيف يُمكن إماطة اللّثام عن منزلتها الرفيعة، وقد كان رسول الإسلام يتعامل معها في حال حياته معاملة الكامل المطلق!».

* «كيف لي ولقلمي ولغةِ البشر، الحديثُ عن سيّدةٍ كانت تستنزلُ جبرئيل، كمثل أبيها، بقدرةِ ما فوق الملكوت، من غيب عالَم الملكوت إلى عالم المُلك، وتجعل ما في الغيب ظاهراً في الشهادة!».

موجودٌ إلهيّ ظهر بصورة امرأة

* «جميعُ الأبعاد الكماليّة المُتصوَّرة للمرأة، والمُتصوَّرة للإنسان قد تجلّت في فاطمة الزهراء سلام الله عليها».

* «لم تكن امرأةً عاديّة. بل كانت امرأةً روحانيّة. امرأةً ملكوتيّة. إنساناً بتمام معنى الإنسان. بكلّ الأبعاد الإنسانيّة. حقيقة المرأة الكاملة. حقيقة الإنسان الكامل. إنّها ليست امرأة عاديّة. بل موجودٌ مَلَكُوتيّ قد ظهر في العالَم في صورة إنسان. موجودٌ إلهيٌّ جبروتيّ ظهر بصورة امرأة».

* «بتربية رسول الله صلّى الله عليه وآله... وصلتْ إلى مرتبةٍ تقصرُ عنها أيدي الجميع..».

بلاد المسلمين تتنعّم ببركات الزهراء عليها السلام

«كان لدينا في صدر الإسلام كوخٌ ضمّ بين أطرافه أربعة أو خمسة أشخاص، إنّه كوخ فاطمة عليها السلام، وكان أشدّ بساطة حتّى من هذه الأكواخ، ولكن ما هي بركاته؟

مَا صَنَعَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَّا مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ، وَلَقَدْ صَنَعُوا مَا اللهُ حَسِيبُهُمْ وَطَالِبُهُمْ.

ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/١٩

لقد بلغت بركات هذا الكوخ ذي الأفراد المعدودين، درجةً من العظَمة غطّت نورانيّة العالَم، وليس من السهل على الإنسان أن يُحيط بتلك البركات. إنّ سَكَنة هذا الكوخ البسيط اتَّسموا من الناحية المعنويّة بمنزلة سامية لم تبلغها حتّى يد الملكوتيّين، وعمّت آثارها التربويّة بحيث إنّ كلّ ما تنعم به بلاد المسلمين - وبلدنا خاصّة - هو من بركات آثارهم تلك».

فضيلة مختصّة بالصدّيقة الكبرى عليها السلام

«مسألة مجيء جَبرئيل عليه السلام إلى شخصٍ ليست مسألة عاديّة، لا تتصوّر أنّ جبرئيل يأتي إلى أيّ شخص، أو أنّ من الممكن أن يأتي، إنّ هذا بحاجة إلى تناسب بين روح ذلك الشخص الذي يأتي جبرئيل إليه وبين مقام جبرئيل الذي هو الرّوح الأعظم... هذا التّناسب كان قائماً بين جبرئيل الرّوح الأعظم، والدرجة الأولى من الأنبياء عليهم السلام، كرسول الله وموسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام...

إنّني أعتبر هذه الفضيلة للزّهراء عليها السلام، على الرّغم من عَظَمة كلّ فضائلها الأخرى، أعتبرُها أعلى فضائلها، حيث لم يتحقّق مثلُها لغير الأنبياء، بل لم يتحقّق مثلُها لجميع الأنبياء عليهم السلام، وإنّما للطّبقة العليا منهم، ولِأعظمِ الأولياء الذين هم في رُتبتِهم، ولم تتحقّق لشخصٍ آخر. وهذه من الفضائل المختصّة بالصدّيقة عليها السلام».

لم يَصِلنا من مناقبها إلّا ما تُطيقه عقولنا

«امرأةٌ هي مفخرةُ بيت النبوّة، وتسطع كالشّمس على جبين الإسلام العزيز. امرأة تُماثل فضائلُها فضائلَ الرسول الأكرم، والعترة الطاهرة، غير المتناهية.

امرأة لا يفي حقّها من الثناء كلُّ مَن يعرفها، مهما كانت نظرته ومهما ذكر، لأنّ الأحاديث التي وصلتنا عن بيت النبوّة هي على قدر أفهام المخاطَبين واستيعابهم، ومن غير الممكن صبّ البحر في جرّة، ومهما تحدّث عنها الآخرون فهو على قدر فهمِهم ولا يُضاهي منزلتها. إذاً، فمِن الأَوْلى أن نمرّ سريعاً من هذا الوادي العجيب».

تسبيح الزهراء.. لم يلزمُه عبدٌ فَشَقِيَ

في (وسائل الشيعة) للمحدّث الجليل الحرّ العاملي مجموعة من الروايات حول تسبيح الزهراء عليها السلام موزّعة على عدّة أبواب؛ منها: استحبابُ ملازمة تسبيح الزهراء وأمر الصبيان به، واستحباب تفضيله على «كلّ ذِكر وعلى الصّلاة تنفُّلاً». ومن هذه الروايات:

* عن الإمام الباقر عليه السلام:

١) «مَن سبّح تسبيح فاطمة عليها السلام ثمّ استغفر، غُفِر له، وهي مائة باللّسان، وألفٌ في الميزان، ويطردُ الشّيطان ويُرضي الرّحمن».

٢) «ما عُبِد اللهُ بشيءٍ من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شيءٌ أفضلَ منه لَنَحَلَه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله، فاطمةَ عليها السلام».

* وعن الإمام الصادق عليه السلام:

١) «مَن سبّح تسبيح فاطمة عليها السلام قبل أن يُثني رِجليه من صلاة الفريضة غفرَ الله له، ويبدأ بالتّكبير».

٢) «تسبيحُ فاطمة الزهراء عليها السلام من الذّكر الكثير الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿واذكُروا اللهَ ذكراً كثيراً﴾».

٣) «يا أبا هارون، إنّا نأمرُ صِبياننا بتسبيحِ فاطمة عليها السلام كما نأمرُهم بالصّلاة، فالزَمْه فإنّه لم يلزمْهُ عبدٌ فَشَقِيَ».

٤) «تسبيحُ فاطمة عليها السلام في كلّ يوم (عقيب) كلّ صلاة، أحبّ إليّ من صلاة ألف ركعة في كلّ يومٍ».

(وسائل الشيعة: ٦/٤٤١-٤٤٥)